مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــرام
التاريخ : ١٩٧٧/١٢/٣٠

الخطوة التالية

قال لى مسئول فى الاذاعة الاسرائيلية ــ وكان ضمن الوفد المرافق لرئيس وزراء اسرائيل عند زيارته للاسماعيلية ــ **انه بعد انتهاء زيارة الرئيس السادات للقدس طلبت بلدية المدينة من عمالها جمع الاعلام المصرية التى كانت تزين شوارع القدس ، ولما نزل العمال اكتشفوا أن علما واحدا لم يبق فى مكانه ، وانما أخذها الاسرائيليون للاحتفاظ بها كذكرى لهذه الزيارة التاريخية ..**

وهذه الواقعة تشير الى معنى هام هو أن نظرة الشعب الاسرائيلى لزيارة الرئيس انور السادات لم تكن مجرد نظرة لزيارة رسمية كغيرها من الزيارات ، وانما لانهم احسوا انها تحمل لهم السلام ..

ومن المؤكد ان الحكومة الاسرائيلية ــ وأحزاب المعارضة فى اسرائيل أيضا ــ تفهم هذا وتدرك الابعاد التى تركتها الزيارة فى نفوس الاسرائيليين ..

وهنا يحق لاى منا ان يتساءل :

ــ اذا كان الامر كذلك لماذا رفض بيجين فى محادثات الاسماعيلية ان يوافق على حق تقرر المصير للشعب الفلسطينى على أساس أن هذا هو المدخل الطبيعى لتحقيق السلام فى المنطقة ؟

وأجيب على السؤال بأن ذلك يعود لثلاثة أسباب :

□□ **اولا : ان غياب منظمة تحرير فلسطين عن حضور مؤتمر القاهرة أعطى القيادة السياسية الاسرائيلية الانطباع بأن المنظمة ترفض السلام وتصر على مبدأ تدمير اسرائيل.**

□□ **ثانيا : ان حضور ياسر عرفات لمؤتمر طرابلس وموافقته على تكوين جبهة تضم امثال جورج حبش تعنى أن كل تصريحاته ومواقفه السابقة لم تكن جادة وانما كانت للمناورة هذا أولا .. كما تعنى ثانيا أن منظمة تحرير فلسطين منقادة لموسكو وبالتالى فان اى دولة فلسطينية تقوم فى الضفة الغربية وغزة ستكون دولة دائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى وللاسف فان تصريحات كل قادة المنظمة هذه الايام تؤكد مثل هذا الانطباع عند القيادة الاسرائيلية ..**

□□ **ثالثا** : ان الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة على مدى الثلاثين سنة الماضية كانت تتحدث عن السلام ، ولكنه كان حديثا نظريا، فلم يكن لدى تلك الحكومات اى تصور لسلام حقيقى واقعى ، وطالما تفادوا أية محاولة للتوصل الى السلام ولكنهم فوجئوا قبل اسابيع قليلة بزيارة الرئيس السادات التى لم تعط لهم الفرصة لاية مناورة ، وسدت عليهم كل أبواب التهرب فوجدوا انفسهم امام وضع جديد غير لهم كل حساباتهم ، ولم يسعفهم الوقت لتغيير هذه الحسابات .. ومع ذلك فقد وضعتهم هذه الزيارة امام الحقائق التالية :

● **ان مصر كدولة قادرة وحدها ان تصنع الحرب ، وتصنع السلام** وقد ابدت بطريقة موضوعية رغبتها فى السلام بعد ان قضت على كل عقد الماضى ورواسبه ..

● **ان مصر متمسكة بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى .**

● **ان العالم كله يتفق مع مصر لا من حيث المبدأ فقط بل أيضا من حيث أسلوب المعالجة..**

وبرغم وضوح هذه الحقائق لدى القيادة الاسرائيلية فلم يكن من المتوقع — كما سبق لى ان قلت صباح يوم الزيارة — ان يجىء بيجين الى الاسماعيلية بمشروع سلام يقبل بالكامل من الرئيس السادات .. فطبيعة النزاع ونوعية التفكير الاسرائيلى ودهاليز السياسة داخل اسرائيل تفرض على المفاوض الاسرائيلى ان يلجأ الى كل انواع المساومة ، وبصراحة اقول ان تصرفات قادة منظمة تحرير فلسطين اعطت لحججه نوعا من المنطق ..

ولقد تقدم مناحم بيجين الى الكنيست اول امس بما اسماه « **مشروع السلام** » حدد فيه وجهة النظر الاسرائيلية بالنسبة للمشكلة ككل .. ومناحم بيجين يعلم مقدما ان هذا المشروع مرفوض من مصر .. سمع هذا الكلام من الرئيس كارتر ، وسمعه من كالاهان رئيس وزراء بريطانيا ، وسمعه ايضا من الرئيس السادات فى الاسماعيلية ..

وسمعه أخيرا من مستشار المانيا الاتحادية هيلموت شميت .. وسوف يسمعه من كل سياسى عاقل يريد باخلاص ان تعيش المنطقة فى سلام .

ومن الطبيعى ان السؤال الذى يتردد الان ليس هنا فى منطقة الشرق الاوسط وحدها ، بل فى العالم كله هو :

ـ ما هو الموقف الان او ما هى الخطوة التالية ؟

ان المؤشرات كلها تشير الى ان هناك رغبة اكيدة فى التوصل الى سلام حقيقى ، صحيح ان وجهات النظر مازالت متباعدة ، **وهذا فى اعتقادى امر طبيعى ومتوقع ، الا ان البداية السليمة سوف تؤدى حتما الى الوصول الى الهدف ..**

□ مصر تعد الان مشروعا ترد فيه على كل النقاط التى جاءت فى مشروع بيجين ..

□ اللجنتان العسكرية والسياسية سوف تبدآن العمل مع مطلع العام الجديد على اساس المشروعين المقدمين من مصر واسرائيل ..

□ الرأى العام العالمى كله يؤيد مصر ولن تستطيع حكومة اسرائيل ان تحطم فرصة السلام المتاحة الان ، لانها لن تجد من يؤيدها فى ذلك حتى الشعب الاسرائيلى نفسه ..

وحكومة اسرائيل تستمد موقفها الان من معسكر الرفض بزعامة الاتحاد السوفيتى ، هذا المعسكر الذى يعمل بغباء شديد على عرقلة مسيرة السلام لأنه فى ذلك صاحب مصلحة ..

اخترعوا فى البداية قصة الحل المنفرد ولما خيبت مصر توقعاتهم راحوا ينعون مؤتمر جنيف دون ان يسألوا انفسهم ، ما هو السر وراء مبادرة الرئيس السادات وما هو الهدف من كل ما يجرى الان ..

هل كانوا يريدون جنيف للتوصل الى السلام أم الى تحطيمه ؟

اذا كانوا يريدونه للسلام فان ما يتم الان هو أفضل واقصر طريق اليه .. اما اذا كانوا يريدونه لتعقيد المشكلة فقد فوت عليهم الرئيس السادات الفرصة وهذا هو سر ثورتهم وتشنجهم.

بل اكثر من ذلك فلقد كشف الرئيس السادات سرا خطيرا عندما قال ان الرئيس السورى ابلغ القادة العرب الذين التقى بهم بعد اجتماع طرابلس الفاشل **ان الاتحاد السوفيتى وعملاءه لم يكونوا ينوون الذهاب الى جنيف ، وهذه مؤامرة تخطط لها موسكو ويقع فيها ببلاهة كل الذين يدورون فى فلكها..**

البعث السورى تصور وهما بعد احتلاله للبنان وتمكنه من السيطرة على قيادات منظمة تحرير فلسطين انه قادر على التحكم فى الموقف ولقد عاونه الاتحاد السوفيتى ــ وامريكا ايضا فى فترة من الفترات ــ على ان يصدق هذا الوهم ..

ومع ذلك فلقد اكتشف حجمه الحقيقى بعد مبادرة الرئيس السادات وبعد الفشل والحرج اللذين واجههما فى مؤتمر طرابلس..

ان الحزب الان يجد نفسه تائها فى وسط كل هذه الاحداث وأوضح دليل على ذلك ما يفرضه على ابواقه فى لبنان وغيرها لنشر واذاعة اخبار تكذبها كل المصادر المسئولة ..

ثم ها هم يعلنون عن مؤتمر جديد للرفض

يعقد فى الجزائر ! !

ما هو الهدف من وراء المؤتمر : وما هى قيمته وقيمة كل المجتمعين فيه ؟. لا شىء على الاطلاق .. مجرد مزيد من التشنج ، والمزايدة ، والتورط ، والسباب ..

والخاسر الوحيد من كل هذه التصرفات الطفولية هو الشعب الفلسطينى نفسه .. الشعب الذى عاملوه كسلعة يتاجرون بها ويحققون بها مكاسب شخصية على حساب مستقبله ، وأمنه ، وكيانه .. والقيادات الفلسطينية تتنقل باسلوب هيستيرى من مكان الى آخر ليس عندها ما تقدمه الا تصريحات جوفاء تضرها وتضر قضيتها ،وتعطى لاسرائيل مادة تتاجر بها وتتخذها ذريعة للتشدد والرفض ..

ان الذين يتصدون للعمل السياسى يجب ان يكون لديهم قدر — ولو محدود — من الذكاء يمكنهم من الاستفادة من دروس التاريخ وتجارب الحاضر ويخططون سياستهم على اساس واقعى يوازن بين الممكن والمستحيل ويقيمون حساباتهم فى ضوء امكانياتهم وامكانيات الاخرين ومصالح الاخرين — اما الاندفاع وراء تيار لا يعى كل زوايا الموقف وابعاده فان ذلك يعنى الانتحار وأظن ان الامة العربية كلها قد ملت هذه السياسة ومحترفى التبعية والاقزام الذين لا هم لهم الا الارتفاع على اكتاف الكبار ..

على حمدى الجمال